الرابع : جَمَع بين حدَّين في وقت واحد . ولا يُجمع بين حدين حتى يَخِفَّ أحدهما .

الخامس : أُمُّ عمران مجنونةٌ ولا يقام حدٌ على مجنون .

السادس : أقام حدًّا لأبويه وهما غائبان لم يحضرا فيدَّعيان

كان ذلك شأن أبي حنيفة فماذا كان شأن القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي . فهو من الفقهاء الذين لمعت أسماؤهم في سماء العراق . فلم يذهب إلي أبي حنيفة ليقرع الحجة بالحجة . بيد أنه راح يقرع باب الأمير شاكيا أبا حنيفة . فأمر الأمير أبا حنيفة ألاَّ يتعرض له .

خامساً وعاء أبي حنيفة ينضح بعلمه وذكائه :

لقد كان أبو يوسف تلميذا لأبي حنيفة أودع في عقله وقلبه علمه ويظهر ذلك في فكر أبي يوسف الذي نهله من الإمام أبي حنيفة " فلقد زعموا أن زُبيدة غاضبت هارون الرشيد . فحلف يمينا بالطلاق ألا تبيت ليلتها في بلد يدخل في ولايته . فلما سكنت عنه فعل الهوى أفاعيله في نفسه والتاريخ يَذْكُر مظاهر الحب بين الاثنين فأظلمت الدنيا في عينيه . والظلام هو العمي في عين البلاط والحاشية والبطانة . فاشتد الخطبُ وفدح الأمر . وكلما مالت الشمس في الأفق . ودنت حمرة الشفق . وسرت في أجساد سكان القصر رعدة . وزاغت الأبصار . وبلغت القلوبُ الحناجر . ودارت أعين الحاشية كالذي يغشي عليه من الموت . وجاء أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة . وكان فقيه البلاط . فقالوا

أفتنايا أبا يوسف في أمير المؤمنين وزوجه . وأتي أبو يوسف بالخوارق .

قال : مروا زوج أمير المؤمنين فلتبت في المسجد . فإنه لا ولاية لأمير المؤمنين على المسجد . قال تعالي : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١) (٢) .

سادساً : مسألة القصّار :

هذه مسألة من تصنيف الإمام حنيفة ردّت التلميذ المغرور أبا يوسف إلي حلقة أستاذه بعد تَمَرُّده . فلقد ظن أبو يوسف وهو في ضحوة عمره الفكري . أنه صار عالماً بعد ملازمته لشيخه واختلافه عليه سنين طويلة . ففكّر في الانفصال عنه بعد أن تربي على موائده ونهل من علمه . وكان أبو حنيفة يعوله ويعول أولاده لمّا فكّر في الانفصال . وذهب ليجلس إلي سارية حتى يعلن للناس عن مولد عالم جديد .

أمر أبو حنيفة صديقاً لأبي يوسف فقال له : " أذهب فقل ليعقوب : ما تقول في رجل دَفع إلي قصّار – الخيّاط الذي يقصّر الثياب – ثوبا ليقصّره بدرهم فصار إليه بعد أيام يطلب الثوب فأنكره . ثم إن صاحب الثوب عاد بعد أيام يطلب الثوب ثانية

---

(١) سورة الجن الآية رقم : ١٨ .

(٢) المرجع السابق .

فرده إليه مقصورا . فهل له أجرة فإن قال : له أجرة قل أخطأتَ وإن قال لا أجرة له قل أخطأتَ " (١) .

واختار أبو حنيفة هذه المسألة لأن أبا يوسف كان يعمل في صباه عند قَصَّارٍ صبياً وكان أبوه خيَّاطا فهذا سر اختيار أبي حنيفة للمسألة . فإذا عجز أبو يوسف الذي ظن أنه صار أستاذا عن هذه المسألة التى له بها من كل ناحية عهدُ فتعسا لهذا العلم الذي يدعيه . ومشي رسول أبي حنيفة يحث الخُطي إلي الأستاذ الجديد وطرح المسألة عليه فأجابه قائلاً له أجرة . قال : أخطأتُ فأطرق مليّاً ثم قال : لا أجرة له . قال : أخطأتَ وعُمِّيتْ عليه الأنباء فأبلس . وأسرَّ الندامة لمّا رأى الخطأ . وانطلق إلي أستاذه الإمام أبي حنيفة .

فقال له الإمام : أظن ما جاء بك إلا مسألةُ القصَّار ؟

قال أبو يوسف : بلي .

قال أبو حنيفة : سبحان الله إن مَن قَعَد يُفتي وقعد مجلساً يتكلَّم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من مسائل الإجارات . أبو يوسف : يا أبا حنيفة علِّمني

أبو حنيفة : إن كان قصَّره بعد ما غَصَبَه فلا أجرة له . لأنه قصَّره لنفسه . وإن كان قصَّره قبل أن يَغصبه فله الأجرةُ لأنه قصَّره لصاحبه .

أبو يوسف : يتعجب من فتوى شيخه .

---

(١) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " ص ١١٤ ، ١١٥ بتصريف .

أبو حنيفة : من ظن أنه يستغني عن العلم فليبك على نفسه . وبكي أبو يوسف على نفسه مدراراً وعاد إلي الحلقة بعد أن ذاق وبال أمره [١] .

نصيحةُ الإمام تورث الخوف من الله :

كان الإمام تاجرا يعمل في تجارة الخز – وهي الثياب – وكان التلاميذ يديرون حانوت الشيخ فأوقاتهم مقسمة بين حلقة العلم وحانوت الشيخ . فهم يعيشون من عملهم . وكان دكّان الشيخ معروفاً لأهل العراق ولأهل الجزيرة العربية لأن في حانوته بضاعة لا تعرضها الحوانيتُ الأخرى في سوق الخزّازين يقصد الرجل من أنحاء الجزيرة الكوفة ليشتري لبنته جهازاً فينبهه الناسُ على الجهاز في دكان " الفقيه الخزّاز " ولهذا الدكان قانونه يدار بالكتاب والسنة . وينظم الفقه حركةَ البيع والشراء وسلوكَ العاملين في الحانوت . فكان الفقيه الإمامُ يقول لهم مرشداً للسلوك الإسلامي " مَنْ وَصَفَ خُفَّامرأة صغيرة أو كبيرة فقد وَصَفَ قَدَمَها ومن وصف قدمها لم يكن عدلا – أي لا تُقبل شهادته . ويقول : إذا قامت المرأة من موضعها فلا تجلس فيه حتى يبرد " [٢]

وكان قول الإمام يتردد في خاطري فأسأل نفسي ما سرُّ نهي الإمام هذا ؟ حتى عرفت الإجابة من موقف عرض لي ونحن طلاب في السنة الثانية في المرحلة الجامعية . وكنا نسافر

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٤ .

من بلدنا إلي عاصمة المُعزّ وكانت الوسيلة التى نستخدمها هي القطار فكنا نغدو في قطار السادسة صباحاً ونروح في قطار الرابعة بعد الظهر وفي شهر يناير كان الجو بارداً وفي قطار الصباح جاء القطار مزدحماً . ووقفت بجانب كُرْسي حتى انتصف الطريق . وعند وقوف القطار في محطة القناطر الخيرية قامت سيدة لتنزل إلي هذه المحطة فأسرعتُ وجلستُ مكانها ولو توانيت ثانية لجلس مكانها أحد الواقفين . فجلست وفي برودة هذا الجو وجدتُ مكانها دافئاً فشعرتُ بارتياح وجال بخاطري كلامُ أبي حنيفة لتلاميذه فقلت يرحمك الله يا أبا حنيفة إلي هذا الحد لم يترك الرجل شيئاً في الفقه حتى أظهره .

علاج العصاة بالرِّقّة منهج لأبي حنيفة :

كان للإمام جار إسكاف يحيي ليله منتشياً بلذة الشراب . والإمام يسهر ليله في عبادته فإذا دارت رأس جاره علاحسُه ورَنّ جرسُه وردّد تلك الأبيات التى يَظن فيها أنه فارس وذو نسب وشرف ومع هذا لم يطلبوه

للهيجاء : فيقول :

أضاعوني وأيّ فتي أضاعوا ليـوم كريهة وسـداد ثغـر

كأني لَم أكنْ فيهم وَسيطـاً ولم تَكُ نسبتي في آل عمرو

أجَرّد في المجامع كل يَـوم فـيـالله مظلمتي وصبري

وفي ليلة من الليالي لم يسمع الإمام صوت جاره الذي كان يقطع عليه خشوع العبادة وفي الصباح سأل عنه قالوا له إن

العُسُس [١] اقتادوه إلي السجن منذ ليال . فركب بغلته وذهب إلي دار الأمير عيسى بن موسى يسأله المغفرة لجاره . فأكرم الأمير مثواه . وأطلق كلّ من قبضت عليه الشرطة في تلك الليلة إكراماً له.وقفل مع جاره.وقال له يا فتي هل أضعناك كما كنت تزعم ؟ فأجابه قائلاً بل حفظتَ ورَعَيْتَ جزاك الله خيراً .

كان هذا الصنيعُ لفتةً كريمة بارعة تاب بعدها الفتي عن شرابه ولزم الحلقة حتى صار فقيها من فقهاء الكوفة [٢] .

أليس هذا الرجل مربياً بقوانين الإسلام ؟ ولقد سبقه إلي ذلك سعد بن أبي وقّاص يوم القادسية يومها شرب أبو محجن الصحابي فحبسه سعد وجئ به ليقام عليه الحد وتركه سعد حتى يأتي الوقت المناسب والتقي المسلمون مع الفُرس وناحت نفس أبي محجن كنواح الحمائم وقال :

كفي حزَنا أن تُطرد الخيل بالقنا

وأُتْـرَكَ مشـدوداً عـلـيَّ وثاقيا

وقال لامرأة سعد أطلقيني ولك والله عليَّ إن سلّمَني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد وقبلت السيدةُ عهده وحلّت قيده فوثب على البلقاء فرس الأمير وأطلق لها العنان بين الصفوف فبهر الجيش وخلب لب القائد حتى خالوه ملكاً من الملائكة المسوّمين . أنزله الله لنصرة دينه وبعد المعركة خلّي سبيله وآلي

---

(١) العسس : جمع عاس وهو الشرطي الذي يبحث ليلاً عن أهل الريبة .

(٢) انظر كتاب " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام " ص ٢١

ألاَّ يقيم عليه الحدّ من أجل بلاء بدت فيه التوبة . فكانت لمسة تاب بعدها أبو محجن عن الخمر . فقال لسعد : كنت أشربُها فأطْهُر منها بإقامة الحد عليَّ فأما إذا أسقطت عني الحد فوالله لا أشربها أبداً [١] .

ولقد سلك هذا المسلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم شدته في الحق : " أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن الأصَمّ قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب . قال فدعا عمر كاتبه فقال : اكتب من عمر بن الخطاب إلي فلان بن فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبل بقلبه ويتوبَ الله عليه فلما بلغ الرجلَ كتابُ عمر رضي الله عنه جعل يقرأه ويردده ويقول : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذّرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي فلم يزل يرددها على نفسه ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر خبره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زلّ زلةً فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه [٢] .

وما أجمل هذا المنهج في العلاج .

---

(١) انظر " حياة الصحابة " لمحمد بن يوسف الكاندهلوي ج ١ ص ٤٦٤ ط مكتبة أسامه .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨٥ .

الإمام ينكر ذاته ويخفي علمه حيال أمّه :

كان بارا بأمه يُجلّها ويدللها وكانت ككثير من الأمهات لا يكبر أبناؤهن في نظرهن فالأهل تعشي أعينهم في سنا الكوكب الدُري الذي يغمر الدنيا ضياؤه فأم الإمام لا تثق بالفتيا إلا إذا جاءتها واردة من الخارج : حلفت يمينا واستفتته فافتاها فلم ترض عما أفتي به فتاها وأبت إلا أن يفتيها زُرْعةُ القاص " الواعظ " فلم يضق الإمام ذرعاً بها وحملها إلي دار زرعة وهنالك قال لها زرعة أُفتيك ومعك فقيه الكوفة ولو انكشف لوح المستقبل لقال فقيه الدنيا أسرّ أبو حنيفة لزرعة أفتها بكذا فأفتاها .

وصورة أخرى : كان يحملها إلي دار عمر بن ذرّ على ما كان بين الدارين من بُعد الشُقة وكانت المسافة بينهما ثلاثة أميال ليصليا التراويح خلف عمر بن در وليستمعا إلي وعظه فهو الزاهد الورع وكان يدعو الله بقوله"أتعذبنا يا رب وفي جوفنا التوحيد لا أراك تفعل"[1] .

خوف الإمام من القضاء :

أجبر ابن هُبيرة أبا حنيفة ليتولى القضاء ، فأبي الإمام إباءً شديداً خوفاً من الله عز وجل فضربه ضرباً أليماً [2] .

لقد كان أبو حنيفة وقتها في قمة مجده العلمي والفكري . وحضرت أمُه ضربه فقال : " والله ما أوجعتني السياطُ قدرَ ما

---

(١) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " ص ٢٦ .

(٢) انظر البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٠٧ .

آلمتني دُمُوعُها . وقالت له أمه "ما خير في علم يُضيعك هذا الضياع" قال يا أماه إنهم يريدونني على الدنيا وإنني أريد الآخرة وإنني اختار عذابهم على عذاب الله".

كان يخاف من المدح ولا يرضي به وظهر ذلك عندما قيل له : لا يزال هذا المصرُ بخير ما أبقاك الله فيه فأجاب .

خَلَتْ الديارُ فَسُدْتُ غير مُسوَّدٍ
ومن البلاءِ تفرُّدي بالسؤدد (١) .

شهادة أخرى في الإمام أبي حنيفة :

كما بدأت الحديث عنه بأقوال العلماء فيه أختمه بشهادة هي مسك الختام في هذا الرجل

أبو يوسف : قال أبو يوسف في شيخه حين سأله الرشيد عنه فصوَّره له في إحدى جوامع كلمه قال :قال الله تعالي : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (٢)

كان علمي به أنه شديد الذَّب عن المحارم شديد الورع أن ينطق في دين الله تعالي بلا علم . يحب أن يطاع الله تعالي . ولا ينافسُ أهل الدنيا فيما بين أيديهم . طويل الصمت . دائم الفكر مع علم واسع . ولم يكن مهذارا . ولا ثرثارا . إن سئل عن مسألة كان له علم بها أجاب . وإلا قاس مستغنيا عن الناس . لا يميل إلي طمع . ولا يذكر الناس إلا بخير.

---

(١) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " ص ٢٨ .

(٢) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " ص ٢٨ .

قال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين . وأمر الكاتب فكتبها ثم أعطاها لابنه وقال : احفظها [١] .

وقال أبو يوسف عند وفاته " اللهم إنك تعلم أنني لم أجُرفي حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمداً وقد اجتهدتُ في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلي الله عليه وسلم وكلما أشكل عليَّ جعلتُ أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه [٢] .

شيخ الإسلام سيدي عبد الوهاب الشعراني : يدلي بدلوه في الإمام أبي حنيفة :قال رحمه الله في كتابه الذي لا يعرفه ضفادع المستنقعات وهو كتاب " الميزان الكبرى " وهو كتاب في الفقه الإسلامي يندر أن يكتبه مفكر أو عالم مسلم يقول رحمه الله (فصل في بيان ضعف قول من نسب الإمام أبا حنيفة إلي أنه يُقدم القياس على حديث رسول الله (ﷺ) : إعلم أن هذا الكلام صدر من متعصب على الإمام متهوِّر في دينه غير متورع في مقاله غافلاً عن قوله تعالي : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [٣] . وعن قوله تعالي : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [٤] . وعن قوله ﷺ لمعاذ " وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم " وقد روي الإمام أبو جعفر الشيزاماري نسبة إلي قرية من قرى بَلْخ بسنده المتصل إلي

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٣) سورة الإسراء الآية رقم : ٣٦ .

(٤) سورة ق الآية رقم : ١٨ .

الإمام أبي حنيفه (ﷺ) أنه كان يقول : كذب والله وافتري علينا من يقول عنا إننا نقدّم القياس على النص وهل يُحتاج بعد النص إلي قياس ؟ وكان (ﷺ) يقول : نحن نقيس إلا عند الضرورة الشديدة وذلك أننا ننظر أولاً في دليل تلك المسألة من الكتاب والسنة أو أقضية الصحابة فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتا عنه على منطوق به بجامع اتحاد العلة بينهما " (١) .

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني " ومن دقيق ورعه – أي الإمام أبو حنيفة (ﷺ) أن أبا جعفر المنصور الخليفة لما منع الإمام أن يُفتي سألته ابنتهُ في الليل عن عدم الخارج من لحم الأسنان هل ينقض الوضوء فقال لها سلي عمّك حمّاداً عن ذلك بكرة النهار فإن إمامي منعني من الفتيا ولم أكن ممن يخون إمامه بالغيب " (٢) .

يا شباب الإسلام أدعوكم إلي النجاة خوفاً عليكم من شفير النار . برز فكر يموج بعالم الشباب الذين تتلمذوا على كتيبات صغيرة سهلة التطاير والسقوط في أيديكم أو الذين تتلمذوا على يد شيوخ نهلوا من ينبوع واحد من ينابيع الفكر الإسلامي بعيداً عن روح الأزهر وعلمائه فهم أصمّةٌ (٣) لمان للفكر الإسلامي وتناقلت ألسنة الشباب كلمات : " شرعُنا الكتابَ والسنة " وليتهم وقفوا عند هذا الحدّ بل تناولوا الأئمة الأربعة بالتجريح . والأئمة الأربعة لم يخرجوا أبدا عن دائرة الكتاب والسنة فإن إسلامهم

---

(١) الميزان الكبرى ج ١ ص ٥١ .

(٢) الميزان الكبرى ج ١ ص ٥٧ .

(٣) أصمّةٌ : جمع : صمام ويجمع على صمامات .

وإخلاصهم وورعهم يعصمهم عن الخروج عن إطار الكتاب والسنة . وهذه المذاهب الأربعة متصلة ببعضها وليست متناقضة يقول شيخ الإسلام سيدي عبد الوهاب الشعراني " إن الله تعالى لما منّ عليّ بالاطلاع على عين الشريعة رأيت المذاهب كلها متصلة بها ورأيت مذاهب الأئمة الأربعة تجري جداولها كلها ورأيت جميع المذاهب التى اندرست قد استحالت حجارة ورأيت أطول الأئمة جدولا الإمام أبا حنيفة ويليه الإمام مالك ويليه الإمام الشافعي ويليه الإمام أحمد بن حنبل وأقصرهم جدولاً الإمام داود وقد انقرض في القرن الخامس " (١) .

فالمذاهب الأربعة ليست متناقضة وهم على صواب . ولا يجوز تفضيل مذهب على مذهب ولقد أفتي الجلال السيوطي بذلك " إن سائر أئمة المسلمين على هدي من ربهم وإن تفاوتوا في العلم والفضل ولا يجوز لأحد التفضيل الذي يؤدي إلي نقص في غير إمامه قياساً على ما ورد في تفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فقد حرّم العلماء التفضيل المؤدي إلي نقص نبي أو احتقاره ولا سيما إن أدي ذلك إلي خصام ووقيعة في الأعراض وقد وقع الاختلاف بين الصحابة في الفروع وهم خير الأمة وما بلغنا أن أحداً منهم خاصم من قال بخلاف قوله ولا عاداه ولا نسبه إلي خطأ ولا قصور نظر . وفي الحديث : " اختلاف أمتي رحمه " وكان الاختلاف على من قبلنا عذاباً أو قال هلاكاً – ومعني رحمة – أي توسعة .

---

(١) الميزان الكبرى ج ١ ص ٢٣ .

ومما يدل على عدم التناقض بين الأئمة الفقهاء ما ورد أن هارون الرشيد : دخل على الإمام مالك (ﷺ) فقال له : دعني أبا عبد الله أُفرّق هذه الكتب التى ألفتها وأنشرُها في بلاد الإسلام وأحملُ عليها الأُمةَ فقال له يا أمير المؤمنين : إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة . فكل يتبع ما صحَّ دليله عنده وكل على هدى وكل يريد الله تعالي وكان الإمام مالك يقول كثيراً ما شاورني هارون الرشيد أن يعلق كتاب الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل لأن أصحاب رسول الله (ﷺ) اختلفوا في الفروع وتفرّقوا في البلاد وكلٌ مصيبٌ فقال : زادك الله توفيقاً يا أبا عبد الله " (١) .

فيا معشر الشباب لم يخرج الفقهاء الأربعة عن سبيلي الكتاب والسنة ورحمهم الله فقد حملوا عن الأمة أعباء البحث والتحري والتدقيق في النصوص فرحمهم الله فالله هو الذي يجازي هؤلاء الأئمة . وكفُّوا سهامكم عنهم ففي ذلك السلامة من الإثم .

القضية الثانية : شَتْمُ شيخ الإسلام عبد الوهاب الشعراني

سمعت نقيق ضفدع وصل إلي أذني : أحد الناس يتفوّه وطفح على لسانه " الإمام المخرّف عبد الوهاب البعراني " وأبدل الشين باء صُدمتُ من هذا القول . وإذا بواحد من المتعاملين مع الإنترنت يقول لي رأيتُ على الإنترنت كتاباً بعنوان " فضائح الصوفية " وفيه سبٌّ للإمام الشعراني . فبحثت عن الكتاب فأُتي

---

(١) الميزان الكبرى ج ١ ص ٣٢ .

به إليّ وهو للمدعو " عبد الرحمن عبد الخالق " ويتكون الكتاب من غلاف مزركش وثلاثين وريقة من القطع الصغيرة والتي يسهل طبعها وتداولها فتؤثر على العوام وشباب الجامعات والمدارس فيظنون أن هذه القصاقيص هي المصدر لعقيدة الإسلام . والنوتة التى كتبها المدعو الذي نحن بصدده لم يسلم من أذاه السيد البدوي . ويَعِفّ لساني أن أرد عن الإمام الشعراني والسيد البدوي بمثل أسلوبه الذي طفح على لسانه وعلى لسان غيره ولكن أقول لم تتأدبوا بأدب الإسلام والدليل على سوء أدبكم ما يلي :

١ – عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " قال (ﷺ) : لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضَوا إلي ما قدَّموا " [١] .

٢ – أن القول في هؤلاء وأمثالهم غيبة ولقد نهي الله عنها وشيوخ الإسلام يكرهون هذه الأقوال فيهم فعن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : ذكرُك أخاك بما يكره . قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " [٢] وقال تعالي : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري والنَّسائي والبيهقي والحاكم .

(٢) رواه الإمام مسلم .

(٣) سورة الحجرات الآية رقم : ١٢ .

٣ – لقد كان شيخ الإسلام عبد الوهاب الشعراني مسلماً ويقر بالتوحيد ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . وما سطره في كتابه " الميزان الكبرى " يدل على إقراره وإيمانه وإسلامه . ولقد روي عتبان بن مالك قال : " قام النبي (ﷺ) فقال : أين مالك بن الدُّخْشُم ؟ فقال رجل : ذلك منافق لا يحبُ الله ولا رسوله فقال (ﷺ) لا تَقُلْ ذلك ألا تراه قد قال : لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله تعالي وإن الله قد حرَّم على النار من قال:لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " (١)

٤ – ما رأيكم أيها الطعّانون بأن الله قال في المشرك : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

فإن كان الرجلُ كما ادعيتم فحسابُه عند ربه لا عندكم .

٥ – إن كان الرجل مؤمناً وليس كما زعمتم وهو الذي نعلمه عن الرجل ونظنه فيه فقد أذيتم مؤمناً وقال الله فيما يؤذون المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٣) .

وبمشيئة الله ستحملون بهتانا وإثما مبيناً .

---

(١) حديث متفق عليه .

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم : ١١٧ .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم : ٥٨ .

٦ – لقد اخبر الرجل عن سرّ ولم يكذب الرجل لأنه لا يريد من البشر شيئاً لقد قال عن أخلاقه وسلوكه مع الله قال في كتاب الميزان الكبرى " فإن قال قائل فما كيفيةُ سلوك صاحب الميزان فالجواب إني أخذتها أولاً : عن الخضر عليه السلام علما وإيماناً وتسليماً ثم إني أخذت في السلوك على يد سيدي على الخوّاص حتى اطلعت على عين الشريعة ذوقا وكشفاً ويقيناً لا أشك فيه فجاهدتُ في نفسي كذا وكذا سنةً وجعلتُ لي حبلاً في سقف خلوتي أضَعُه في عنقي حتى لا أضع جنبي على الأرض وبالغت في التورع حتى كنت أسفُ التراب إذا لم أجد طعاماً يليق بمقامي الذي أنا عليه في الورع وكنت أجد للتراب دسما كدسم اللحم أو السمن أو اللبن وسبقني إلي نحو ذلك إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فمكث عشرين يوماً يسفُ التراب حين فقد الحلال المُشاكلَ لمقامه . وكذلك كنتُ لا أمُرُّ في ظل عمارة أحد من الولاة ولما عمل السلطان الغوري السباط الذي بين مدرسته وقبته الزرقاء كنت أدخل من سوق الورّاقين وأخرج من سوق الشرب ولا أمُرُّ تحت ظله وكذلك الحكم في عمارات الظلمة والمباشرين والأمراء وأعوانهم وكنتُ لا آكل من شيء إلا بعد تفتيشي فيه غايةَ التفتيش ولا اكتفي فيه برخصة الشرع وأنا على ذلك بحمد الله تعالى إلي الآن مع اختلاف المشهد فإني كنتُ فيما مضي أنظر إلي اليد المالكة له الآن أنظر إلي لونه ورائحته أو طعمه فأدرك للحلال رائحةً طيبة وللحرام رائحة خبيثة وللشبهات رائحة دون الحرام في الخبث فأترك ذلك عند هذه العلامات فأغناني ذلك النظر إلي صاحب اليد ولم أعوّل عليه فلله الحمد على ذلك فلما انتهي سيري إلي هذه الحدود وقفتُ بعين قلبي على عين الشريعة

المطهرة التى يتفرّع منها قولُ كلّ عالم ورأيتُ لكلّ عالم جدولا منها ورأيتها كلها شرعاً محضاً وعلمتُ وتحققت أن كلّ مجتهد مصيبُ كشفاً ويقينا لا ظنّاً وتخمينا وأنه ليس مذهب أولي بالشريعة من مذهب آخر " (١) .

وفي النهاية أُوجّه سؤالا لكل من تطاول على الرجل أو تطاول على غيره من العلماء . أقرأتم كتاب الميزان في الفقه للرجل ؟ لم تقرأوه . فلو قرأتم هذا الكتاب لأدركتم إيمان الرجل وعظمة فكره . ولا يستحق منكم ما يطفح على ألسنتكم .

إن كنتم قرأتم كتاب " الطبقات الكبرى " فلقد عاشر الأولياء وتذوق أحوالهم التى تستبعدونها وما الذي يضيركم من الذي قاله الرجل تستبعدون أن السيد البدوي يخرج يده له ويسلم عليه وسمع كلام السيد من قبره .

وما طفحت به ألسنتكم " فهذا عبد الوهاب الشعراني يجمع كتابه الطبقات الكبرى كلّ فسق الصوفية وخرافاتها وزندقتها فيجعل كل المجانين والمجاذيب واللوطية

والشاذين جنسيا والذين يأتون البهائم عيانا وجهارا في الطرقات يجعل كل أولئك أولياء وينظمهم في سلك العارفين وأرباب الكرامات وينسب إليهم الفضل والمقامات ولا يستحيي أن يبدأهم بأبي بكر ثم الخلفاء الراشدين ثم ينظم في سلك هؤلاء من كان " يأتي الحمارة " جهارا نهاراً أمام الناس ومن كان لا يغتسل

---

(١) الميزان الكبرى ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

طيلة عمره عريانا من الثياب ويخطب الجمعة وهو عريان ومن ومن من كل مجنون وافاك وكذاب ممن لم تشهد البشرية كلها أخس منهم طوية ولا أشد منهم مسلكا ولا أقبح منهم أخلاقاً ولا أقذر منهم عملاً " (١) ثم يقول في الصفحة الخامسة والأربعين من هذه النوتة : التصوف بحر من القاذورات . هذا ما طفحت به الألسنة . وما قدّمته عن الإمام الشعراني يدحض ذلك . وحسب هؤلاء العلماء ربهم . لأن هذه الضفادع لم تفهم فكر الرجل فلقد أعماهم التعصب عن الحق . ولم ينقلوا مرض الشيخ وعجزه إتيان زوجته شهورا والشيخ الشناوي يأخذه مسجد السيد البدوي فيضرب له فرشا في ركن بجانب القبة وهذا فوق المسجد ويوزعون الحلوى ويقولون له إذهب وقُض بكارتها هل وجدتم أن الشعراني يقوم بالفعل ويشاهده البدوي والشناوي والناس ؟ والله ما نقلتم ما نقلتموه بأمانة فاتقوا الله وقولوا الصدق .

فقد كذبتم على الرجل والله يحكم بينكم وبينه يوم القيامة . فإن غيبة العلماء نترك بعدهم أثراً في الناس والأجيال .

اتهمتم الرجل بأنه جمع كل فسق في كتابه " الطبقات الكبرى " وقلتم (يجعل المجانين والمجاذيب واللوطية والشاذين جنسيا والذين يأتون البهائم عيانا وجهارا يجعل كل أولئك أولياء كذبتم وافتريتم والله على الرجل . وقلبتم الحقيقة وأسوق ما قلبتموه عندما ترجم للشيخ شمس الدين الحنفي تحدث عن علاجه

---

(١) نوته من مجموعة وريقات تحت مسمي كتاب " فضائح الصوفية " ص ٣٧ ، ٣٨ .

للمذنبين واحترامه لمشاعرهم وما ورد بالحرف الواحد " وكان رضي الله عنه إذا رأي من الفقراء والمجاورين عورة سترها عليهم ويصير يسارقهم بحيث لا يشعرون ويرغبهم في ذلك الأمر الذي فيه صلاحهم . ورأى مرة شابين أمر دين ينامان في خلوة فلم يفش عليهما أمراً وصار يحكي الحكايات المناسبة للتنفير من مثل ذلك حتى قال عن الشبلي رحمه الله تعالي أنه دخل يوماً خربة يقضي فيها حاجته فوجد حمارة فراوده الشيطان عليها فلما أحس الشبلي رضي الله عنه بذلك رفع صوته وصاح يا مسلمون يا مسلمون ألحقوني وأخرجوا عنى هذه الحمارة فإني أعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة فإذا كان هذا حال مثل الشبلي رضي الله عنه في حمارة فكيف بالصور الجميلة ففطن لذلك الشابان فتفرقا عن الاجتماع حتى كأنهما لم يكونا عرفا بعضهما " (١) .

أكذبتم على الرجل أم لا ؟ ما سطره الشيخ الشعراني فهو كما سطره صاحب " حلية الأولياء " وصفة الصفوة بيد أن كرهكم للتصوف وأهله أعماكم ودفعكم للافتراء .

القضية الثالثة : سبُّ البوصيري رحمه الله واتهامه بالزندقة

من موقع على الانترنت (www.alsaha.com)

الكاتب إحسان العتيبي : الموضوع : " وقفة مع البوصيري في البرده "

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

كتب الكاتب فقال : " وليس يخفي في البردة ان فيها من الكفر الصريح والزندقة الظاهرة وإن لم تكن كذلك فليس في العالم كفر ولا زندقة . وقد قالوا إن البوصيري مرض بمرض عضال لم ينفع فيه العلاج وكان يكثر من الصلاة على رسول الله (ﷺ) حتى رآه في المنام ذات ليلة يُعطيه ببردته الشريفة ولما قام البوصيري من نومه قام وليس به مرض ولا ألم فأنشأ قصيدته مدحا للنبي في زعمه . هذا ومحمد ﷺ والمؤمنون الموحدون برءاء جميعا من هذه القصيدة : فقبح الله واضعها وناشر ومنشدها ومادحها وهو يعلم ما فيها . والبيت الأخير له قصة خيالية طريفة حصلت مع البوصيري ذلك انه أنشد هذه القصيدة بين يدي رسول الله (ﷺ) في زعمه مناما حتى أتى إلي قوله " فمبلغ العلم فيه أنه بشر " ولم يستطع أن يكمل البيت فقال (ﷺ) اقرأ قال البوصيري إني لم اصل للمصراع الثاني : أي عجز البيت فقال عليه الصلاة والسلام " وأنه خير خلق الله كلهم " .

وفي موقع آخر (www.said net)

تحت عنوان : قوادح عقيديه في بردة البوصيري

الكاتب / عبد العزيز محمد عبد اللطيف

يقول : كذب البوصيري في رؤيته للنبي وكذبه في تكملة البيت . وأما عن التعريف بصاحب البردة محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلي بلدته أبو صير بمصر ولد سنة ٦٠٨ هـ واشتغل بالتصوف وعمل كاتبا مع قلة معرفته بصناعة الكتابة ويظهر من ترجمته وأشعاره أنه لم يكن فقيها كما لم يكن عابدا

صالحاً حيث كان ممقوتاً عند أهل زمانه لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح كما أنه كثير السؤال للناس وكانت له أشعار بذيئة يشكو من حال زوجه التى يعجز عن إشباع شهوتها وتوفي سنة ٦٩٥هـ .

ولقد نقد الاثنان أبيات القصيدة وساق كلاهما كل بيت برهانه مخالفاً لتوجيههم مع فتح نيران الشتم والسب والتكفير وبمشيئة الله سأرد على كل بيت تحدثا عنه . وقبل الحديث ومحاورتهم أسوق لهم ما خفي عنهم من حقائق في الشعر البشري ولا سيما العربي منه .

حقائق ملازمة للشعر العربي :

الأولي : أن الشعر فيه رؤي كثيرة من الخيال وإلا ما كان شعرا بل كان كلاماً عادياً . والقرآن وصف الشعراء بذلك قال تعالي : ﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (١)

فهم يهيمون في كل وادبأخيلتهم الرحبة الفسيحة .

الثانية : أن قواعد البلاغة قعدها أبو هلال العسكري وغيره من الشعر العربي ومن القرآن فاستُنبطت من هذه الينابيع واستُخرجت من قيعان هذا اليم وكذلك بحور الشعر العربي قَعَّدها الخليل بن أحمد من الشعر .

---

(١) سورة الشعراء الآيات رقم : ٢٢٤ – ٢٢٧ .